التأمل والمناجاة في شعر محمود حسن إسماعيل
(ديوان "صوت من الله" نموذجاً)

د/ إلهام أسليم سلمان القرالة

أستاذ مساعد – كلية الكرك الجامعية- جامعة البلقاء التطبيقية- الأردن

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث عنصرين فنيين دلاليين يبرزان في شعر محمود حسن إسماعيل على اختلاف أغراضه وموضوعاته، وهما عنصرا التأمل والمناجاة، حيث أضفيا على شعره طابعاً صوفياً ممتداً عبر المراحل الشعرية المختلفة.

ولقد تأثر الشاعر محمود حسن إسماعيل تأثراً كبيراً بنشأته الأولى في الريف المصري وبالأوضاع السياسية والاجتماعية السائدة في هذا الوقت، حيث كان لا يرتضي هذه الأوضاع ويراها مهينة للإنسان ونازعة لكرامته؛ لذلك لجأ إلى الطبيعة حيث وجد فيها راحته النفسية وسكونه البعيد عن الطبائع البشرية المليئة بكل ما يكره.

إن الشاعر محمود حسن إسماعيل قد استطاع من خلال تأملاته للطبيعة والتاريخ والحياة أن يُكوِّن مزيجاً شعرياً شعورياً بين وجدانياته وحالاته المختلفة، فكانت هذه العناصر مرآة يرى فيها نفسه ويسكب فيها شعره وشاعريته الفياضة، حتى غدا التأمل أبرز سمة من سمات شعره.

ولم تكن المناجاة منفصلة عن التأمل لدى الشاعر، فلقد ربط الشاعر بين تأملاته ومناجاته الإلهية ربطاً خلق جواً صوفياً غير منفصل عن الإنسان من حيث إنسانيته، فلقد كانت مناجاته لربه مفعمة بحالة من التسبيح والحمد والاستغفار لخالق هذه الموجودات التي منحته حياة أخرى بديلة من الحياة التي كان يهرب منها.

لقد استطاع الشاعر من خلال معظم قصائده التأملية وقصائد المناجاة أن يمزج بين المكونات الطبيعية والحالة الوجدانية الشعورية والشعرية.

مقدمة:

يُعد الشاعر محمود حسن إسماعيل أحد أبرز الأصوات الشعرية في العصر الحديث، حيث يعد شعره مدرسة متفردة لها سمات خاصة تناولها النقاد ودارسو الأدب بالعرض والتحليل، وشُغلوا ببيان مبادئها وأسسها التي قامت عليها. ومن سمات هذه المدرسة الشعرية الطابع الفلسفي التأملي الذي نحاول رصده في هذه الورقات استقراءً وتحليلاً من خلال ديوانه ذي الطابع الصوفي "صوت من الله"، ونتبع ذلك بعرض فكرة المناجاة وسماتها في شعره من خلال هذا الديوان أيضاً. ويدور البحث في ثلاث نقاط رئيسة هي: حياة الشاعر وفلسفته وأعماله. والتأمل في شعره. والمناجاة في شعره.

أولا: الشاعر محمود حسن إسماعيل (حياته . فلسفته . أعماله):

ولد محمود حسن إسماعيل بقرية النخيلة في أبو تيج بمحافظة أسيوط في ١٩١٠/٧/٢م. والتي غذت حاسة الجمال والانفعال داخله، وتلقى تعليمه الابتدائي والثانوي بين مدارس أسيوط والقاهرة، شبّ على حفظ القرآن الكريم، ثم انتقل من قريته إلى القاهرة والتحق بكلية دار العلوم التي كانت حينذاك تسمى "دار العلوم والأدب" وتخرج فيها عام ١٩٣٦ م. حيث حصل على الليسانس في العلوم العليا. وقد اكتسب ثقافة واسعة وأتيح له من التجارب ما لم يتح لزملائه[١].

يقول محمود حسن إسماعيل متحدثاً عن نشأته: "نشأت في قرية صغيرة في أعماق الصعيد اسمها (النخيلة) ولها من اسمها نصيب، فيكثر فيها النخيل والبساتين المطلة على حافة نهر النيل من الجانب الغربي. ولم أولد في بيت علم ولم أواجه في طفولتي مكتبة تشكل ثقافة مبكرة تعين على أي معرفة، وأول ما سمعت من اللغة العربية لغة القرآن، وقد حفظته في سن التاسعة، وأول ما سمعت من الشعر الأنغام الجنائزية التي كان يتصايح بها المنشدون أمام النعوش، وكنت أضيق بها وأفزع منها.

ولهذا هربت إلى معيشة كاملة في الحقل، حيث سمعت من أنغام الطبيعة لغة الطيور التي كانت أول إيقاع موسيقي لم تتدخل فيه صنعة الإنسان، يحرك نفسي إلى الإصغاء لعالم الطبيعة بكل ما فيه، حتى الجذوع الصامتة والليل الأخرس، والوجود المستعبدة البكماء التي تتحرك حولي تحت وطأة القهر والرق والحرمان والطمأنينة الزائفة وبؤس العيش، وذلك في

(١) نقلاً عن (سلوان محمود وعزت سعد الدين: محمود حسن إسماعيل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٥م، ص٢٠). http://www.diwanalarab.com

العشرينيات الأولى من هذا القرن، ولم أكن في معظم الوقت مع أهلي في "الكوخ" بل كنت أعيش في "الغيط" على مشارف نهر النيل جنوب "أبوتيج" وقد طال مقامي كجزء من الطبيعة، وأبذر الحب وأتابع البذرة منذ غرسها حتى الحصاد. ولا أزال أذكر الغناء البشري الذائب من حناجر الكادحين في مراسم الزرع والحصاد، وكانت كل هذه العوالم أشبه بمرجل انصهرت في داخله كل العناصر الترابية التي انفصلت عنها بإضاءة الشعر عندما بدأت أتنفس به، عقب فراقي لعالم القرية والطبيعة إلى عالم المدينة"[٢].

ثم يتحدث الشاعر عن أثر هذه المرحلة في موهبته الشعرية وحياته عموماً فيقول: "ولم تترك طفولتي في الصعيد بصمات على حياتي كشاعر فحسب، بل كانت هي السر الذي اندلعت منه حياتي الشعرية؛ فهي لم تكن طفولة فقط بل كانت امتداداً منذ مولدي بالقرية إلى أن نزلت المدينة، وقهرني فن الشعر على التفجر قبل انتهاء مدة الدراسة العليا بصدور ديواني الأول (أغاني الكوخ). ذلك أني عشت القرية بروحي وجسدي متوغلاً في دخانها وترابها وفي جميع أجزائها ورأيت الإنسان فيها أذل من سائمته كما يقودها يقاد وكما يطعمها يطعم، ورأيت المجتمع كله يتعاور على أعتاب حفنة من السادة، ولا أستطيع تفسير شحنة العذاب والقلق والرفض التي كنت أحملها كما فسرتها (أنغام الكوخ)، و(هكذا أغني)، و(أين المفر) وسائر الدواوين والأشعار التي نشرت بعد ذلك.

وكان ديواني الأول (أغاني الكوخ) يمثل إحساسي بالرفض لعالم القرية الذي يخيم عليه الرق والمسكنة و التجبر والمغايرة الشنيعة بين إنسان وآخر في كل شيء، والتناقض بين طرفي الإنسان: إنسان في الهلاك من الذل والحرمان والآخر يكاد يهلك من البطن والترف والاستعلاء الجائر، ومن خلال هذا المناخ تولدت أحاسيسي الأولى نحو فلسفة الوجود وموقفي الملتزم بالطبيعة بفلسفتي الخاصة، ترفض هذه الفلسفة أول ما ترفض رق الوجود والمسافات المضروبة بين الناس بدون عدل وتقدس الحرية التي لا تشكل قيداً على نفسها"[٣].

لعل هذا يُفسر لنا ما سوف نعرضه من ذيوع فكرة التأمل والمناجاة في شعر محمود حسن إسماعيل، فكأنه هروب من هذا الواقع الاجتماعي الممتلئ بالظلم والتفرقة إلى الطبيعة ومكوناتها ونقائها التي لا تعرف المحاباة والتفرقة والظلم البشري.

---

(٢) السابق، الصفحة نفسها.

(٣) مصطفى السعدنى: التصوير الفني في شعر محمود حسن إسماعيل، منشآة المعارف، الإسكندرية، د. ت، ص١٧، ١٨.

ويذكر محمود حسن إسماعيل صفات الشاعر الحقيقي بقوله: "الشاعر هو الذي يحمل البعد السابع من النفس: بمعنى أن هناك بعداً أبعد من الحواس الخمس التي تتعامل مع الوجود تعاملاً مباشراً، وأيضاً أبعد من الحاسة السادسة التي أضافها علم النفس الحديث في تفسيره للنفس البشرية أمام معطيات الكون. وهذا البعد هو الذي تترسب فيه آثار المعارك والصراعات بين الحواس الخمس والحاسة السادسة التي قال بها علماء النفس، لأن البعد السابع يتلقى آثار هذا الصراع فقط دون أن يحرص على الإفضاء بها أو التعبير عنها وإنما تأتي فجأة كلما امتلأ وضاق كيانه عن حمل مذخوراته من كافة ألوان التجارب أو العواطف التي شكلتها الحواس الخمس أو تصورتها الحاسة السادسة، وفي البعد السابع تخترق التجارب الزائدة في وجود الإنسان وتختلط وتتصارع وتتعانق وتذوب وتأخذ شكلا جديداً، يختلف كل الاختلاف عن أصولها الأولى، وحين تمتلئ تفور كما يفور البركان الذي ضاق بمحتواه.. هناك ضراوة من العداء بيني وبين النفس، بيني كإنسان وبيني كشاعر. لأن الشاعر فيما أتصور هو الأصل والإنسان هو المضاف إليه بشرياً. وقد أوقعني هذا المضاف في كل ما من شأنه أن يشكل عقبة أمام تيار الشعر وتدفقه الذي كنت أتمنى أن لا يرتفع أي سد أو أي حاجز أمام انهماره من نفسي في أية لحظة، وهذا يشكل جمهرة القلق الدائمة في نفسي والتي تطرح وهجها على وجودي كله سواء كان وجود شاعر أو وجود إنسان وبالرغم من إحساسي الواضح بهذا الصراع فإني لم أضق به ذرعاً، بل احتملته بشعور خفي أتمنى فيه أن ينتصر الشاعر على الإنسان كجسد و وجود متحرك"[٤].

وقد اختير الشاعر عضواً بلجنة الشعر بالمجلس الأعلى للفنون والآداب منذ تكوينها. واختير عضواً بلجنة النشر والدراسات الأدبية بالمجلس نفسه. كما عمل بمجمع اللغة العربية محرراً قبل التحاقه بالإذاعة المصرية عام ١٩٤٤م. حيث تدرج بالعمل الثقافي بالإذاعة حتى عين مستشاراً ثقافياً. كما عمل بإذاعة الكويت لسنوات حتى توفي في ٢٥ أبريل ١٩٧٧م، ونُقل جثمانه إلى مصر[٥].

دواوينه الشعرية[٦]:

١) أغاني الكوخ، ١٩٣٥ م.

٢) هكذا أغني، ١٩٣٧م.

---

(٤) سلوان محمود وعزت سعد الدين: محمود حسن إسماعيل. ص٢٢.

(٥) نفس المرجع، ص ٢٤.

(6) http://www.diwanalarab.com

٣) الملك، ١٩٤٦م.
٤) أين المفر، ١٩٤٧م.
٥) نار وأصفاد، ١٩٥٩م.
٦) قاب قوسين، ١٩٦٤م.
٧) لابد، ١٩٦٦م.
٨) التائهون، ١٩٦٧م.
٩) صلاة ورفض، ١٩٧٠م.
١٠) هدير البرزخ، ١٩٧٢م.
١١) صوت من الله، ١٩٨٠م.
١٢) نهر الحقيقة، ١٩٧٢م.
١٣) موسيقى من السر، ١٩٧٨م.
١٤) رياح المغيب، ١٩٩٣م.

أعمال أخرى[٧]:

- كتاب "الشعر في المعركة" الذي صدر الجزء الأول منه عام ١٩٥٧م، والجزء الثاني عام ١٩٦٧م.
- له دراسات أدبية ومقالات وقصائد نشرت في المجلات والصحف مثل: السياسة الأسبوعية، أبوللو، النهضة الفكرية، الرسالة، الهلال، المصور، الإذاعة، الأقلام العراقية، المسلمون، الأديب اللبناني، مجلة المجلة، مجلة الشعر، مع الإشراف على تحريرها. وفي الصحف مثل: الأهرام، البلاغ، المصري، الدستور، الأخبار، الجمهورية.

الجوائو والأوسمة[٨]:

- وسام الجمهورية من الطبقة الثانية عام ١٩٦٣م.
- وسام الجمهورية من الطبقة الثانية عام ١٩٦٥م.
- جائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٦٤ م. عن ديوانه (قاب قوسين).

(٧) سلوان محمود وعزت سعد الدين: محمود حسن إسماعيل، مرجع سابق.
(٨) نفس المرجع.

- وسام تقدير من الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة.

ثانيا: التأمل في شعره:

إن ظاهر ة التأمل تعد أبرز سمات الاتجاه الرومانسي الحديث في الشعر العربي، فالشاعر يمزج كل ما في نفسه بكل ما حوله، ثم يتأمل هذا المزيج السحري وما يفرزه على المستوى الشعوري والشعري. وربما كان للشعر ذي التوجهات الصوفية توجهات تأملية أكثر من غيره؛ ذلك لأن التأمل . بالإضافة إلى كونه نزعة من نزعات الرومانسية الحديثة . يعد أحد ملامح الفكر الصوفي الواضحة.

وفي ديوان "صوت من الله" للشاعر محمود حسن إسماعيل نجد ذلك الجانب منتشراً بمساحات واسعة واسعة، ومن ذلك ما تطالعنا به القصيدة الأولى في هذا الديوان وهي بعنوان "الله"، حيث يقول الشاعر:

وهناك عند الفجر في إشراقة كلظى وعلى خطا قمرية الإيماض،

يصفح نورها كذب الصخور.. روض رحيب أجهشت فيه الزهور

وتكلمت بعطوره لغة الطيور وتأوهت ريح مجنحة المسير

على مخاضره تدور وترنمت ورقاء صالية الشعور(٩).

يرسم الشاعر في مطلع هذه القصيدة صورة تأملية تجمع بين الزمان والمكان والمكونات المحيطة به ذات الدلالة الواضحة، فنجد زمان هذه الصورة وقت الفجر الذي يتداخل فيه النور والظلام، وتستعد النفس ليوم جديد، نرى في هذه المشهد صورة انعكاس الضوء على الصخور، ونرى روضاً من الزهور مغطى بالطل، ونرى حركة الريح ونسمع صوتها، كما نسمع صوت الحَمامة الهادلة على غصنها، لا يغيب عن هذا المشهد الذي ترصده عين الشاعر سوى الإنسان، لا إنسان فيه إلى من يصفه ويمتزج به ويعيش فيه. إنها حالة من التوحد بينه وبين هذا المشهد بكل مكوناته انعكست على وصفه له حزناً في ل من "كلظى الهجيرْ – وتأوهت – أجهشت".

ويقول في قصيدة "الله .. والطريق":

(٩) محمود حسن إسماعيل: الأعمال الكاملة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨م، الجزء الثالث، ص٢٥٣.

كـل حصـاة فـي الطريـق أومـأت تنتظـرُ وكـــل ذرات الأثيـــر أقبلـــت تُكبِّـــرُ

والـريح مـن كـل اتجـاه أيقظـت ربابَهـا وأســبلتْ علـــى جبـــين أفقهـــا أهـــدابَها

واسترسـلت تعـزف للسـكون مـن صـلاتِها وتسـتعيد شـجوها همسـاً علـى لهاتِهـا(١٠).

إنها صورة رسمها الشاعر لرحلة الهجرة النبوية من غار ثور إلى المدينة المنورة، وفيها وصف مشهداً كأنه يراه ويسمع أصوات ما فيه، إن الحصا ينتظر الخطو المبارك من النبي، وذرات التراب تكبر، والريح تعزف كأنها (ربابٌ) استيقظ من غفوته للاحتفال بهذا الفرح العظيم هامسة مُصلِّية، ويستمر هذا المشهد التأملي في قول الشاعر في القصيدة ذاتها:

والفجر من مزاره النعسان في وجه الوثن رد خطاه لخطا جديدة على الزمنْ

جـاءت تهُـز مُطرِقـاً أمـام ربٍّ مطـرقِ كلاهُمـا وهـمٌ لـوهمٍ جاهـلٍ مُلفَّـقِ(١١).

استمرار لذلك التأمل في الأحوال السائدة في الزمن الذي تحمله القصيدة، وفي هذا المقطع ينتقل الشاعر إلى تأمل ووصف معسكر الشرك، فنور الإيمان يشع في وجه الوثن، وخطا التوحيد جاءت مدمدمة توقظ الغافلين الذي غرقوا في الوهم.

وفي قصيدة "الله والجبل" يتأمل الشاعر جبل عرفات وما يمثله من رمز وقداسة، حيث يصفه بقوله:

ذلـك الضـاربُ فـي ليـلٍ وضـيء الظلمـاتِ

مـزّقَ الشـوق حنايـاه لطيـفِ المغفـراتِ

غنَّـــتِ الحُـــبَّ لياليـــهِ وجُنَّـــتْ بالغـــداةِ

وتلاشـــت فـــي صـــداه كهـــزيج الســـاقياتِ

ظـامئٌ للنـورِ ملهـوفُ الحشـا والنظـراتِ(١٢).

(١٠) نفس المرجع، ص ٣١٧.
(١١) نفس المرجع، ص ٣١٨.
(١٢) محمود حسن إسماعيل: الأعمال الكاملة، مرجع سابق، ص ٣٢١.

يصور الشاعر حالة هذا الجبل في لوحة تأملية يجتمع فيها الظلام والنور، وذلك في وصف الشاعر "وضيء الظلمات"، ثم إن هذا الجبل يحن لرؤية زائريه وقد غُفِر لهم، إنه رمز للحب الخالص بين العبد وربه، تنبعث منه أغنيات هذا الحب في صور التلبية والتسبيح والاستغفار، وهو مع كل ذلك يبقى ظامئاً لمزيد من الأنوار الإلهية التي تفيض عليه دوماً مع دعاء الداعين واستغفار المستغفرين.

ويستمر الشاعر في تأمل للمخلوقات التي تصبو لزيارة هذا الجبل المقدس فيقول في القصيدة نفسها:

أرأيتَ الطيرَ في دعواتها للربواتِ أرأيت الريح في هبتها بالفلواتِ

أرأيتَ الحُلم في صحوة جفنٍ من سُباتِ هكذا ينفُضُه الوجدُ لرؤيا عرفاتِ(١٣).

إن كل المخلوقاتِ في حالة شوق دائم وشوق دائب لرؤية هذا الجبل المبارك، الطيور التي تدعو وتتبتل لتحقيق هذه الرغبة، الريح في الصحراء، حتى الأحلام التي تزور النائمين تتمنى أن تكون حُلماً بهذا المكان، إن الوجد والشوق يهزان هذه المخلوقات هزاً عنيفاً عبَّر عنه الشاعر بالفعل "ينفض".

ثم يتأمل الشاعر حالة قاصدي جبل عرفات بقوله:

هُرِع الناسُ إلى بابك من كل الجهاتِ

طرحوا الدنيا وخفُّوا بقلوبٍ نادماتِ

حُسَّراً يمشون للهِ بأيدٍ ضارعاتِ

وصدورٍ حانياتٍ من عذابِ المعصياتِ

وقلوبٍ جأرت أسرارها بالتلبياتِ(١٤).

إنها حالة روحانية مغرِقة يرصدها الشاعر ويصور جوانبها متأملاً، حيث يصف الشاعر حالة إسراع الحجيج إلى عرفات يحدوهم الشوق المكبوت منذ سنوات، لقد ألقوا خلفهم كل

(١٣) نفس المرجع، ص ٣٢١.
(١٤) محمود حسن إسماعيل: الأعمال الكاملة، مرجع سابق، ص ٣٢٢.

متعلقات الدنيا والحياة المادية، وجاءوا بأيد ضارعة وقلوب حانية راجية لتحقيق ما يصبون إليه من مغفرة.

إن التأمل لدى محمود حسن إسماعيل يعد غاية في ذاته وآلية من آليات التناول الشعري، وجانب مهم من جوانب الفكرة الصوفية في شعره، فلم يكن التأمل لديه وسيلة للوصول غلى نتيجة رياضية أو منطقية بحتة، بل هو حالة من الإغراق في التفصيلات التي تمنح النص شعرية وشعورية حية تضم الطبيعة إلى صوت الشاعر ووجدانه. إنه يرى ما حوله من منظوره الشعوري والعقلي، ويضفي على كل مكون من المكونات التي يتأملها شيئاً غير قليل من شعوره وفكرته الممتزجين في صوت شعري بديع.

ثالثا: المناجاة في شعره:

المناجاة أبرز سمات الصوفية وأهم جوانبها التعبيرية، وقد أولاها الصوفية اهتماماً كبيراً تطبيقاً وتنظيراً، يقول جعفر الصادق: "نجوى العارفين تدور على ثلاثة أصول: الخوف والرجاء والحب. فالخوف فرع العلم، والرجاء فرع اليقين، والحب فرع المعرفة. فدليل الخوف الهرب، ودليل الرجاء الطلب، ودليل الحب إيثار المحبوب على ما سواه. فإذا تحقق العلم في الصدر خاف، وإذا صح الخوف هرب، وإذا هرب نجى. وإذا أشرق نور اليقين في القلب شاهد الفضل، وإذا تمكن من رؤية الفضل رجى، وإذا وجد حلاوة الرجا طلب، وإذا وفق للطلب وجد. وإذا تجلى ضياء المعرفة في الفوائد هاج ريح المحبة واستأنس في ظلال المحبوب، وآثر المحبوب على ما سواه وباشر أوامره واجتنب نواهيه واختارهما على كل شيء غيرهما، وإذا استقام على بساط الأنس بالمحبوب مع أداء أوامره واجتناب نواهيه وصل إلى روح المناجاة والقرب"[١٥].

ويقول أبو الحسن الشاذلي: "بسط المناجاة أربعة: إما أن تناديه من حيث أوصافك وأنت ناظر إلى أوصافه، وإما أن تناديه من حيث أوصافه وأنت ناظر إلى أوصافك، أو تكون فانيا بأوصافه في أوصافه، أو يجلسك الحق على بساط الحاجات ترمق ببصر قلبك سد الخلل والفاقات، أو تكون ذاكرا للمنة، ويكون البساط هاهنا الذكر، أو يكون أجلسك على بساط النعمة وأوصاف العبد الفقر والعجز والضعف والحاجة والمسكنة والجهل والذل"[١٦].

([١٥]) عادل خير الدين: العالم الفكري للإمام جعفر الصادق، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٩٣م، ص ١٣١ .

([١٦]) الشيخ قطب الدين البكري الدمشقي: مخطوطة شرح ورد السَّحَر الكبير - ص ١٩٢ .

ولقد تمثل الشاعر محمود حسن إسماعيل هذه المعاني في مناجاته الإلهية، فنجد هذه المناجاة تدور بيين الخوف والرجاء والحب وإعلان الضعف والحاجة غلى الرحمة والمغفرة، كما نجد فيها دعاء بمزيد العلم وفيض الإلهام والشعر، يقول الشاعر:

لاح لـــي وجهـــك فـــي كـــل شـــعاع يتجلـــى

يمـــــلأ الأيـــــام عطـــــراً وأناشـــــيداً وظـــــلاً

ســـاقي الإيمـــان مـــن نـــورك طُـــفْ بالكـــأسِ وأمـــلا

واســـقِني واشـــرب ولا تحـــرم مـــن النـــور شـــفاهي

فـــأُغنّي ... رب ســـبحانك دومـــاً يـــا إلهـــي(١٧).

إن الشاعر يستحضر ذكر ربه في النور الذي يراه فتمتلئ أيامه بكل ما هو جميل (عطراً وأناشيداً وظلا)، ويستدعي الشاعر في مناجاته تلك الرمز الصوفي الأشهر، وهو الشراب والسقاية، ذلك الرمز الذي تتجسد فيه معاني العطاء الإلهي الخاص؛ لذلك نجد الشاعر يستعمله في الدعاء وطلب ما يرجوه في قوله:

اســـقني واشـــرب ولا تحـــرم مـــن النـــور شـــفاهي

ويقول الشعر في سياق المناجاة في القصيدة نفسها:

قـوتي منـك ومنهـا تنهـل الحمـد شـفاهي وتغنـي الـروح تسـبيحاً وشـكراً يـا إلهـي

إن يكـن ذنبـي تـوارى عـن ضـميري وخطـا التوبـة تاهـت فـي المسـيرِ

فأنـا فـي كـل خطـوي لـك حمـد ومتـاب وحنـين رددتـه حـول أيـامي الشـعاب

فاسكب النور لقلبي، وارو بالسِّحر شفاهي فأغني .. رب سبحانك دوماً يا إلهي(١٨).

مناجاة وتوبة وطلب للمغفرة واستمداد للقوة من الخالق، ورجاء بأن يسكب النور في قلبه وأن يمده بفيض الإلهام حتى يتغنى بتسبيحه دوماً.

(١٧) محمود حسن إسماعيل: الأعمال الكاملة، مرجع سابق، ص ٣٢٨.
(١٨) محمود حسن إسماعيل: الأعمال الكاملة، مرجع سابق، ٣٢٩، ٣٣٠.

ومن مناجاته قوله في قصيدة "الملك لله":

إلهـــي تباركـــت رب الســـماءْ مـــع الليـــل تبعـــث فجـــر الضـــياءْ

وتفـــتح لليـــأس بـــاب الرجـــاء ومـــا خـــاب مـــن ظللتـــه يـــداك

ولا ضـــل فـــي خطـــوه مـــن دعـــاك فأنـــت الســـميع بهمـــس الـــدعاء(١٩).

ويلفت النظر هنا حذف أداة النداة للدلالة على الشعور بالقرب الذي هو شرط المناجاة، فإن المناجِي لابد أن يشعر بقرب من يناجيه وإلا فقدت المناجاة مضمونها ومعناها. ويخاطب الشاعر ربه بنعمه وعظمته، فهو الإله الواحد رب السماء، القادر على بعث النور بعد الظلام، الذي يفتح أبواب الرجاء لعباده ويسمع دعاءهم.

ويستمر هذا الصوت في قول الشاعر:

لـــك الملـــك والحمـــدُ أنـــت النصـــيرْ وأنـــت الأمـــان لمـــن يســـتجير

وأنـــت لمـــن قـــال يـــاربُّ .. نـــورْ يـــرد الســـكينة للحـــائرينْ

ويســـكب للـــروح نـــور اليقـــين ويمحو الأسى من ظلام الصدورْ(٢٠).

هو استمرار بالمناجاة والتسبيح بعظمة الخالق، ورغم أن الأساليب خبرية فهي تتضمن معاني دعائية إنشائية، كأن الشاعر يطلب من ربه النور والأمان والعون والنصرة والسكينة ومحو الأسى من الصدور.

وفي قصيدة "الحمد لله" يقول الشاعر:

يـــا ربنـــا لـــك الصـــلاة والحمـــد مـــن كـــل الحيـــاة

مـــن زهـــرة علـــى الغصـــون لهفانـــةٍ إلـــى نِـــداكْ

مـــن دمعـــة علـــى الجفـــون ظمآنـــة إلـــى رضـــاك

مـــن بســـمة علـــى العيـــونْ ولهانـــةٍ إلـــى ضـــياكْ(٢١).

(١٩) المرجع السابق، ص ١٥٢، ١٥٣.
(٢٠) المرجع السابق، ص ٣٥٣.
(٢١) محمود حسن إسماعيل: الأعمال الكاملة، مرجع سابق، ص ٣٥٥.

هي حالة من امتزاج وجداني بين شعور الشاعر ومكونات الطبيعة حوله، متمثلة في الزهرة والدمعة والابتسامة، غير أن هذا المزيج كله متوجه إلى خالقه بتلك الأنشودة المسبحة التي يقول الشاعر فيها مستطرداً:

يـــــا ربنـــــا لـــــك الصـــــلاة يـــــا ربنـــــا لـــــك الصـــــلاة

يـــــا رحمـــــة للتـــــائبين للعفـــــو لا نرجـــــو ســـــواك

يـــــا مـــــوئلاً للحـــــائرين طـــــوبى لمـــــن يلقـــــى هنـــــاك

يـــــا غـــــوث كـــــل العـــــالمين حمـــــدً لمـــــا تعطـــــي يـــــداك(٢٢).

لقد دارت المناجاة الإلهية في شعر محمود حسن إسماعيل في فلك المعاني الصوفية المتداولة، وفي الأجواء الوجدانية نفسها، فنجد فيها التسبيح والتمجيد والتعظيم، ونجد فيها الرهبة والخوف، ونجد فيها الرجاء والدعاء، كل ذلك في سياق من الحب والتعبد والخضوع الذي تكتسي به قصائد الشاعر حتى التأملي منها.

الخاتمة:

تأثر الشاعر محمود حسن إسماعيل تأثراً كبيراً بنشأته الأولى في الريف المصري وبالأوضاع السياسية والاجتماعية السائدة في هذا الوقت، حيث كان لا يرتضي هذه الأوضاع ويراها مهينة للإنسان ونازعة لكرامته؛ لذلك لجأ إلى الطبيعة حيث وجد فيها راحته النفسية وسكونه البعيد عن الطبائع البشرية المليئة بكل ما يكره.

استطاع الشاعر من خلال تأملاته للطبيعة والتاريخ والحياة أن يُكوِّن مزيجاً شعرياً شعورياً بين وجدانياته وحالاته المختلفة، فكانت هذه العناصر مرآة يرى فيها نفسه ويسكب فيها شعره وشاعريته الفياضة، حتى غدا التأمل أبرز سمة من سمات شعره.

ولقد ربط الشاعر بين تأملاته ومناجاته الإلهية، بما خلق جواً صوفياً غير منفصل عن الإنسان من حيث إنسانيته، فلقد كانت مناجاته لربه مفعمة بحالة من التسبيح والحمد والستغفار لخالق هذه الموجودات التي منحته حياة أخرى بديلة من الحياة التي كان يهرب منها.

المصادر والمراجع:

(٢٢) المرجع السابق، ص ٢٥٦، ٢٥٧.

- القرآن الكريم.
١- سلوان محمود وعزت سعد الدين: محمود حسن إسماعيل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٥م.
٢- عادل خير الدين: العالم الفكري للإمام جعفر الصادق، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٩٣م. - ص ١٣١.
٣- عبد الرحمن بن عبد الخالق: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، مكتبة ابن تيمية، الكويت، ط٢، د. ت.
٤- عمر الدسوقي: في الأدب الحديث: دار الفكر، بيروت، د. ت.
٥- قطب الدين البكري الدمشقي: مخطوطة شرح ورد السَّحَر الكبير.
٦- محمود حسن إسماعيل: الأعمال الكاملة، الجزء الثالث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨م.
٧- محمود حسن إسماعيل: الأعمال الكاملة، دار سعاد الصباح، القاهرة،٢٠٠٦م.
٨- مصطفى السعدنى: التصوير الفني في شعر محمود حسن إسماعيل، منشآة المعارف، الإسكندرية، د. ت.
٩- يوسف زيدان: الفكر الصوفي بين عبد الكريم الجيلي وكبار الصوفية، دار الأمين، مصر، ط٣، ١٩٩٨م.
١٠- المواقع الإلكترونية:

1 (http://www.ibtesam.com
2 (http://www.wiipedia.org
3(http;//www.samaey.net

Contemplation and Apostrophe in the Poetry of Mahmoud Ismail

Abstract

This research examines two seminal artistic elements that stand out in the poetry of Mahmoud Hassan Ismail, namely the element of contemplation and apostrophe, with their different purposes and subjects. These two elements added to his poetry a sufistic aspect extended through the various poetic progress.

The poet was deeply influenced by his early living in the Egyptian countryside as well as the prevailing political and social conditions at the time. He did not cope up with such reality and saw it as insulting to the human being and his dignity. Therefore he resorted to nature, where he found his comfort and soul far from human nature.

through his reflections on nature, history and life, the poet has been able to produce a poetic mixture of consciousness between the different sensations and situations. Such being the case, he mirrorred himself and extensiveley demonstrated his poetry and poetism to the point where contemplation and apostrophe have become the most prominent feature of his poetry.

The poems enlivened apostrophe sceneries were not separate from the contemplation poems. The poet linked his contemplation and his divine pleasures to create an atmosphere of sufism that is not separated from man in terms of his humanity. Apostrophe was filled with praise and seeking forgiveness from the creator of these creatures, which gave him another alternative life that presented him an escape from the actual life.

Through most of his contemplation and apostrophe poems, he has been able to combine natural ingredients with emotional and poetic states of emotions.